صور من الحياة في بومبي

يسألني كثير من الإخوان عن بومبي ، سكانها ، والحياة فيها ، الخ ... ولذلك رغبت بتلخيص بعض نواحي الحياة في هـــذه المدينة الجبارة ، التي تعتبر أول مدينة في الهند والشرق ، ورابع مدينة في العالم ، ولا أدعي بأن هذه الخلاصة حاوية على كل شيء عنها أو أنها قد بحثت بعض النواحي وتعمقت فيها ، وإنما هي انطباعات وصور عن بعض نواحي من الحياة استطعت أن أعرفها خلال إقامتي فيها خلال الأشهر القليلة الماضية .

تاريخها وجغرافيتها :

فمن الناحية التاريخية تعتبر مديـــنة بومبي من المدن القديمة ، فقد كان لها شأن من الناحية التجارية قبل حوالي ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وكانت لها علاقات كبيرة مع إيران ومصر والبلاد الأخرى ، وهي في الواقع شبه جزيرة كانت في السابق عبارة عن سبع جزر صغيرة ، ولـكن بمرور الوقت اتصلت فيما بينها وكونت شبه الجزيرة التي يبلغ طولها ١١ ميلا ويتراوح عرضها بين ميلين إلى ثلاثة أميال في الجهات المختلفة ، ومساحتها حوالي ٢٦ ميلا مربعاً ، وشمالها تمتد ضواحي بومبي التي يبلغ طولها ١٩ ميلا وعرضها ١٤ ؛ ومساحتها ١٤٢ ميلا مربعاً — ولقد استولت عليها وحكمتها عدة دول مختلفة في القرون السابقة إلى أن استولى عليها البرتغاليون في ٢٣ ديسمبر ١٥٣٤ بعد أن كان يملـكها سلطان (الـكجرات) « Gujarat » .

وبعد ذلك أخذت التجارة الغربية تتدفق عليها بكثرة ولذلك هاجمها الانجليز والهولنديون في ١٣ أكتوبر ١٦٢٦ وتركوا المدينة عرضة للنهب والسلب ، ولقد أبدى التجار الانجليز عدة محاولات لشراء شبه الجزيرة ، ولـكن حكومة « كرومر » في انجلترا لم تعر هذا الموضوع أي أهمية إلى أن تزوج الملك شارل الثاني الأميرة البرتغالية كاترين دي برجنزا في ٢٣ جون ١٦٦١ التي وهبت ملك بريطانيا (شارل الثاني) ووريثة ، وخلفاءها ، الجزيرة والميناء وجميع الممتلـكات والأرباح العائدة لها فيها) .

وفي ٢٧ مارس ١٦٦٨ أعلن الملك شارل الثاني بأن شركة الهند الشرقية هي المالك الحقيقي لميناء شبه جزيرة بومبي ، ومن هذا التاريخ بدأ تطور بومبي ، وإزدادت أهميتها على مرور الأيام ، وأخذ الانجليز يعيرونها اهتمامهم وعنايتهم ، لأن المدن والشعوب عندهم كالبقرة الحلوب .

أهميتها واقتصادياتها :

وفي حرب الاستقلال الأمريكية ١٨٦٠ حصلت المدينة على مركز وسمعة تجارية كبيرة وخاصة فيما يتعلق بالقطن وتجارته التي أصبحت وما تزال مركزاً هاما من مراكزه ، وقد اكسبتها الحربان العالميتان الماضيتان مكانة مرموقة في التجارة الدولية ، فهي الآن إن لم تـكن المدينة التجارية الأولى بالهند فهي المدينة الثانية ، وهي تساهم في ٣٥ ٪ و٣٣ ٪ من مناسج (أنوال) ومغازل الهند عامة ، وفيها ١٦٦ مصنعاً للقماش (وتحوي القطن والحرير والصوف) و٣٧٣ مشروعاً هندسياً ، ٤ مصانع للسكر ، و١٠٦ مصنعاً لصناعة أدوات الطعام والشراب والسجاير ، ومصنعاً للورق و ١٠٦ مصنعاً للمواد الـكيماوية وغيرها ، و ١٢١ مصنعاً للأشياء المختلفة الأخرى . وتأتي بعدها كلـكتة من الناحية المالية في الهند ففيها بورصة الأوراق المالية ، وبورصة الذهب وبورصة القطن والمصرف المركزي وسلطات النقد ومصرف اصدار النقد الهندي « RESERVE BANK of INDIA »

ومن بين قائمة المصارف الهندية البالغ عددها (٨٥) مصرفاً يوجد ٢٨ مصرفا منها مركز تأسيسها بومبي ، وهناك ١٥ مصرفا أجنبيا ، ومن بين ٢١٨ شركة تأمين في القطر يوجد ٦٨ ؛ مركزها الرئيسي في البلد ، ولـكونها أحسن مرفأ في الهند فإن ٣٠ ٪ من تجارة شبه القارة الهندية تمر بها ، وتتحصل الحـكومة المركزية على حوالي ٤٠ ٪ من مجموع ما تتحصل عليه من دخل الـكمارك الخارجية في بومبي (حيث أن الهند مقسمة إلى حكومات المقاطعات ، ولـكل منها استقلاله الداخلي ، ولها حكومة مركزية واحدة تتبعها الـكمارك وضرائب الدخل والبريد والبرق والسياسة

[ثلاثة قرون تطل علينا !]
« البلدية »

الخارجية والقوات المحاربة الخ ...) وعلى ٢٥ ٪ من مجموع ضرائب الدخل عامة وعلى ٤٠ ٪ من مجموع ماتحصله من ضرائب المهن والحرف فى جميع القطر .

مناخها :

أما مناخها فعلى الغالب حار ، رطب ، ولكن البحر يلطفه قليلا إلا أن صيفها متعب ، وشتاءها جميل ، وأحر أشهرها شهر مايو (مايس) وأبرد شهر (جنورى) (كانون الثانى) وأشهر المطر هى من شهر (جون إلى شهر سبتمبر) حيث معدل ماينزل هو ٧٥ (أنجا) .

سكانها :

لقد كان سكانها فى أول عهدها لايزيدون عن ١٠ آلاف شخصاً ولكن أخذت الأنفس تزداد بكثرة كبيرة جداً .

فى عام ١٦٧٧ وصلوا إلى ٥٠ ألف .
وفى عام ١٧٤٤ وصلوا إلى ٧٠ ألف .
« « ١٧٨٠ « « ١٤ ألف .
« « ١٨١٤ « « ١٨٠ألف .
« « ١٩٢١ « « ١١٧٥ألف .

وهكذا أخذ سكانها يزداد بمعدل كبير وخاصة بعد الهجرات التى كان أولها عند احتلال اليابان (للملايو وبرما) فى الحرب الأخيرة فقد هاجر إليها كثير من سكان البنغال وبعد الاستقلال وتقسيم الهند ١٩٤٦ أمها كثيرمن المهاجرين من مختلف نواحى الهند الشمالية ويبلغ سكانها حسب آخر إحصاء ١٩٥١ (فبروى) حوالى ٣٦٠٠ ألفاً ، وحسب إحصاء ١٩٢١ فإن ٧٠٪ من السكان هم من الهند ، و١٥٪ من المسيحيين ، و٥٪ من عباد النار (فرس) و١٪ من اليهود ، والباقى من ديانات مختلفة لكن هذه النسب قد تغيرت كثيراً بعد الهجرتين منها وإليها .

حياتها الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية والروحية :

وفى المدينة نوادى اجتماعية وأدبية ورياضية عديدة ، وملاعب كبيرة متنوعة ، ومسابح ، وقاعات ، ومسارح ، وجمعيات متنوعة ، منها السياسية ، ومنها الدينية المختلفة المتنوعة بتنوع المذاهب واللغات والعادات .

وهناك جامعة بومبى وهى أكبر معهد عالى بالمدينة ويتبعها خمس كليات كبيرة ، وهناك كليات ومدارس عالية مختلفة ، وبعضها لها ميزات خاصة ، هذا بالاضافة إلى المعاهد الصغيرة ومدارس الجمعيات ، وبما أن سكان المدينة هم خليط متنوع غير منسجم من سكان الهند المختلفين فى الديانات والطبقات والعادات واللغات ومستوى الحياة ، ولذلك لايستغرب المرء عندما يجد تكتل كل جماعة أو طائفة على حدة ، فلها نواديها و لاعبها ومدارسها وجمعياتها وحتى المسلمون — مثلا — وهم (السنة والشيعة والبهرة والخوجة والميمنى والبيه) لكل منهم نشاطه الخاص به من النواحى المختلفة ، وهناك عادة أن تتجمع أغلب الطوائف وتسكن فى محلات واحدة ، إلا أن هذه العادة أخذوا يقلعون عنها بالتدريج ، وقد كانت أهميتها تنحصر فى الدفاع عن النفس فى أوقات المظاهرات والقلاقل الداخلية وخاصة بين الهند والمسلمين فى الأيام السابقة .

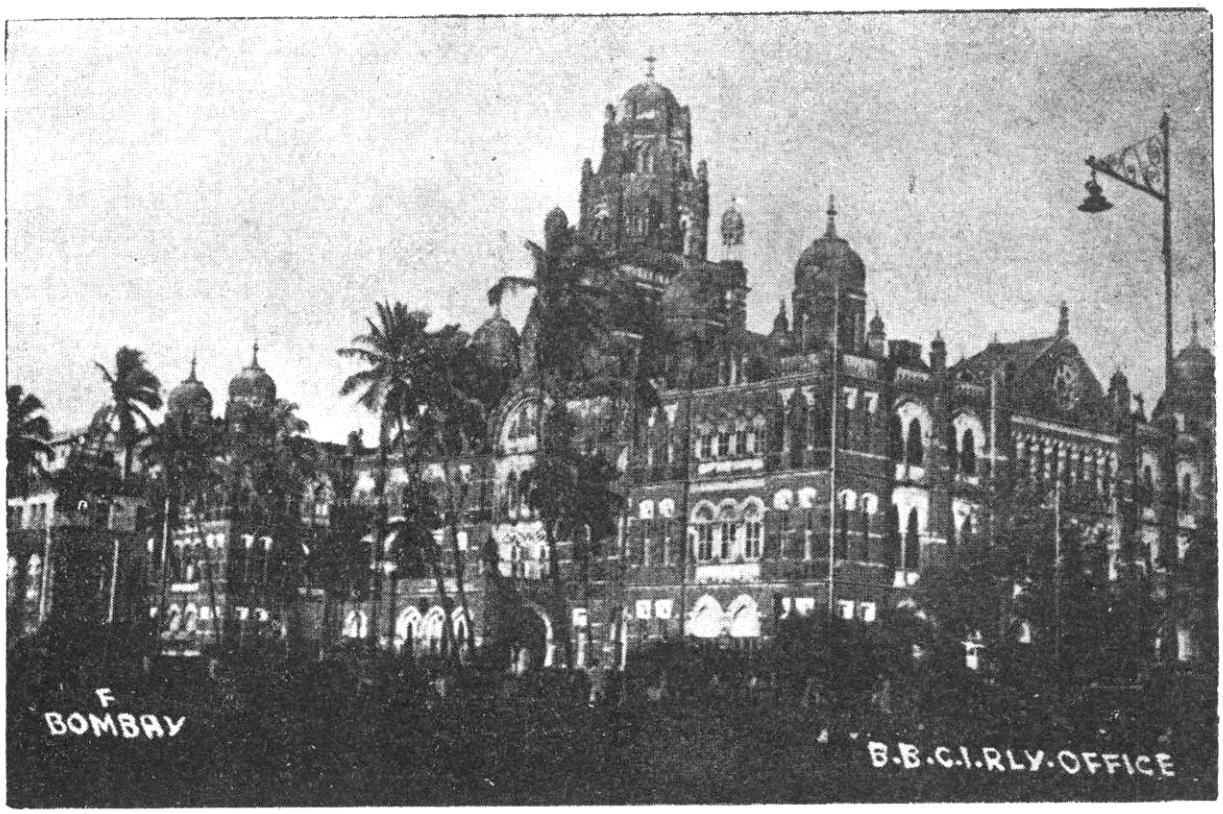

[ثلاثة قرون تطل علينا !]
« دائرة سكة حديد بومبى »

(مارين درايف) وكورنيش بومبى
ويلاحظ عرض الرصيف وانسجام البنايات !

وصحف بومبى المهمة هى التى تصدر بالإنجليزية وهى اللغة الرسمية الآن ، إلا أنه بعد خمسة عشر عاما ستحل اللغة الهندية محلها ، وهناك صحف تصدر (بالكجراتية والمراتية والأردو) ولكن يلاحظ أن هذه الصحف لاتعالج الموضوعات الخارجية ولاتتطرق إلى الأخبار العالمية إلاقليلا ، فصبغتها على الغالب محلية ، وهناك مكتبات عامة كبيرة ، ومحلات عديدة لبيع الكتب منتشرة فى أغلب الأحياء ، كما توجد مكتبتان ومطبعتان غربيتان ، وفيها أهم (الأستوديوهات) لإخراج وتمثيل الأفلام الهندية ، كما أن فيها محطة ممتازة للاذاعة تذيع بلغات عدة . وقد يستغرب المرء إذا عرف بعض الأفلام الهندية قد عرضت مدة من السنين فى دار واحدة فى المدينة ، وفى كل يوم تمتلىء قاعاتها ومدة العرض ستة شهور وأكثر .

وفى المدينة ثانى ميدان عالمى لسباق الخيل ، وقد يصل رواده فى بعض أيام السباق إلى ٣٠ ألف نسمة ، وفى الشتاء يبدأ الموسم الرياضى بلعبة الكريكت وهى اللعبة الشعبية الأولى ، وقد أدخلها البلاد مع غيرها من الألعاب الإنجليز ويأتى بعدها فى الربيع موسم (الهوكى) وخلال فصل المطر يبدأ موسم كرة القدم ، وقد تقام مباريات دولية من آن لآخر (بالكريكت والتنس) وغيرها ، إلا أن الحركة الرياضية لايمكن أن تتناسب مع عدد سكان المدينة .

وفيها نشاط ثقافى وفنى وموسيقى فمن آن لآخر يعلن عن محاضرات مهمة وتعرض روايات مسرحية مختلفة ، سواء أكانت بالإنجليزية أو بإحدى اللغات الهندية ، وهناك بعض حفلات خاصة للرقص والموسيقى والغناء الهندى ، وللموسيقى جمعيات كثيرة وخاصة للموسيقى الغربية فكثيراً ما تقام حفلات موسيقية فى إحدى قاعاتها الكبيرة .

وفى المدينة نيف وثمانون جامعاً ومن أجملها وأكبرها جامع (جمعه مسجد) أى (جامع الجمعة) . . وهى مليئة كذلك بالكنائس المختلفة ومعابد الهندوس والفرس (عبدة النار) الذين هاجروا من إيران قبل ١٣ قرناً عندما دخلها الإسلام ، وطريقة دفن الموتى تختلف بين هذه الطوائف فالمسلمون والمسيحيون يدفنون موتاهم تحت الثرى ، والهندوك يحرقونهم ، والفرس يسكبون الزيوت على وجوههم ويسلطون الكلاب الضخمة المسنة لنهش جثثهم ثم يلقونها فى بئر واسع يقع فى برج الصمت « Tower of Silense » فى أحد

(البقية على ص ٢٤)

وجهة نظر

تفكر الحكومة جدياً بإنشاء صحيفة أسبوعية رسمية تعبر فيها عن آرائها وتنشر فيها أخبار دوائرها ، وكلما يجد لديها من تقدم ونشاط ، وهذه ولا شك خطوة مباركة موفقة من ناحية الحياة الثقافية عندنا ؟.. لكن لماذا فكرت الحكومة بإنشاء هذه الصحيفة ؟.. طبعاً وجدت أن من الضرورى أن تكون هناك ولو على الأقل ، صحيفة واحدة فى البلاد وخاصة بعد أن احتجبت جميع الصحف الأخرى عن الصدور . . أما سبب احتجاب هذه الصحف عن الصدور ، فلا لعجز أو لقلة القراء أو لكسل القائمين بشؤونها !! لكن المادة هى السبب الوحيد. فالاعلان فى الصحف يكسبها أكثر من ٥٠ ٪ من تكاليفها ؛ وطبع كميات كبيرة من النسخ يزيد فى الدخل ، وليس بنسبة ما يصرف على هذه الأعداد . وهذان العاملان مفقودان لدينا . . . فإذا ما قامت الحكومة بمد يدها للصحافة وتشجيعها فى البلاد فسوف تزدهر ، وتؤدى للبلاد فوائد جمة ، وخدمات جُلّى . . . وسوف لا تحتاج الحكومة إلى إنشاء صحيفتها ؛ أما إذا أحجمت الحكومة على مد يد المساعدة ، وتشجيعها فمستقبل صحافتنا عند علام الغيوب.

(. . .)